

مختصر ابن كثير

- 63 - أفرأيتم ما تحرثون .
- 64 - أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون .
- 65 - لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكهون .
- 66 - إنا لمغرمون .
- 67 - بل نحن محرومون .
- 68 - أفرأيتم الماء الذي تشربون .
- 69 - أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون .
- 70 - لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون .
- 71 - أفرأيتم النار التي تورون .
- 72 - أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون .
- 73 - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين .
- 74 - فسيح باسم ربك العظيم .
- يقول تعالى : { أفرأيتم ما تحرثون } ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها { أنتم تزرعونه } ؟ أي تنبتونه في الأرض { أم نحن الزارعون } ؟ أي بل نحن الذي نقره قراره وننبتة في الأرض روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ { أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون } وأمثالها يقول : بل أنت يا رب وقوله تعالى : { لو نشاء لجعلناه حطاما } أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما أي لأيسناه قبل استوائه واستحصاده { فظلمت تفكهون } . ثم فسر ذلك بقوله : { إنا لمغرمون ... بل نحن محرومون } أي لو جعلناه حطاما لظلمت تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة { إن لمغرمون } أي لملقون وقال مجاهد وعكرمة : إنا لمولع بنا وقال قتادة : معذبون وتارة تقولون : { بل نحن محرومون } أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد { بل نحن محرومون } أي محدودون يعني لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد { فظلمت تفكهون } تعجبون وقال مجاهد أيضا { فظلمت تفكهون } تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة { فظلمت تفكهون } تلاومون وقال الحسن وقتادة { فظلمت تفكهون } تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي : تفكه من الأضداد تقول العرب : تفكته بمعنى تنعمت وتفكته بمعنى حزن . ثم قال تعالى : { أفرأيتم الماء الذي تشربون ... أنتم

أنزلتموه من المزن { يعني السحاب } أم نحن المنزلون { يقول بل نحن المنزلون } لو نشاء جعلناه أجاجا { أي زعافا مرا لا يصلح لشرب ولا زرع } فلو لا تشكرون { أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبا زلالا } لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون { روى ابن أبي حاتم عن جابر عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا شرب الماء قال : " الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا " (أخرجه ابن أبي حاتم) ثم قال : { أفرأيت النار التي تورون } أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها { أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون } أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها وللعرب شجرتان : إحداهما (المرخ) والأخرى (العفار) إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار وقوله تعالى : { نحن جعلناها تذكرة } قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد " (أخرجه أحمد عن أبي هريرة مرفوعا) وقال الإمام مالك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم " فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية فقال : " إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا " وفي لفظ : " والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها " (أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم) .

وقوله تعالى : { ومتاعا للمقوين } قال ابن عباس ومجاهد : يعني بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ابن أسلم : المقوي ههنا الجائع وقال ليث عن مجاهد { ومتاعا للمقوين } : للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار وعنه { للمقوين } يعني المستمتعين من الناس أجمعين وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى بها واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم وفي الحديث : " المسلمون شركاء في ثلاثة : النار والكلا والماء " (أخرجه أحمد وأبو داود) وفي رواية : " ثلاثة لا يمنعن : الماء والكلا والنار " (أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن) . وقوله تعالى : { فسبح بسم ربك العظيم } أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجرا لهم في المعاد

